شرح
كشف الشبهات

لفضيلة الشيخ

www.almosleh.com

الدرس الأول:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله أجمعين وعلى سائر عباد الله الطيبين الصالحين أما بعد. .

فنبدأ بهذه الرسالة المباركة التي ألفها الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وسماها كشف الشبهات وقد أجاد وأفاد رحمه الله في هذه الرسالة كعادته في رسائله وكتبه فإنه فند شبه المبطلين ودحض أقوالهم وبين زيفها مستنداً في ذلك كله على الكتاب والسنة ومعتصماً بما جاء عن السلف الصالح رحمهم الله، وهذا الكتاب له منزلة عظيمة إذ فيه تفنيد أقوال أعداء الله ورسوله من المشركين والمعاندين لدعوة الرسل ولذا فقد أثنى عليه الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله ثناءً عاطراً في كتابه (الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق) فقال رحمه الله في الثناء على هذا الكتاب وبيان منزلته: " صنف الشيخ رحمه الله كشف الشبهات وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلان ما أورده أعداء الله ورسوله من الشبهات فدحض حججهم وبين تهافتهم وكان كتاباً عظيم النفع على صغر حجمه جليل القدر انقمع به أعداء الله وانتفع به أولياء الله فصار علماً يقتدي به الموحدون وسلسبيلاً يرده المهتدون ومن كوثره يشربون وبه على أعداء الله يصولون" يقول رحمه الله: "فلله ما أنفعه من كتاب وما أوضح حججه من خطاب لكن لمن كان ذا قلب سليم وعقل راجح مستقيم". وهذا الثناء العاطر في محله وسيتبين لنا هذا إن شاء الله تعالى من خلال استعراض ما في هذا الكتاب من شبه وكيف أجاب الشيخ رحمه الله على هذه الشبه وفندها شبهةً شبهة. والكتاب اسمه كشف الشبهات والكشف هو: الإبانة والإزالة والشبهات جمع شبهة والشبهة في اللغة هي: الالتباس والاختلاط وفي الاصطلاح التباس الحق بالباطل واختلاطه حتى لا يتبين وقد عرفه عرف الشبهة ابن القيم رحمه الله في كتابه مفتاح دار السعادة تعريفاً جيداً فقال: " وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق". والشبهات أيها الإخوة أحد نوعي الفتن التي ترد على القلوب فإن القلب مغزوٌ بفتنة الشبهة وبفتنة الشهوة، وفتنة الشبهة أخطر إذ إنها إذا أنشبت أظفارها في

قلب العبد قلَّ أن ينجو ولذا فإن السلف رحمهم الله كانوا يتباعدون عن الشبه ويحرصون على عدم الجلوس في المجالس التي تورد فيها الشبه بل كان أحدهم لا يسمع من المشبهين المبتدعين أهل الأهواء حتى قول الله وقول الرسول كما ورد ذلك عن ابن سيرين رحمه الله فإنه قد جاءه رجلان ممن عرفوا بالبدعة والشبهة فجلسا بين يديه يريدان أن يقرأا عليه آية فقال: " إما أن تقوما وإما أن أقوم" فلا حل وسط وذلك أن دينهم عزيز عليهم فكانوا يحرصون على التباعد عن الشبهات إلى هذه الدرجة بل كانوا لا يسمحون لأهل البدع وأهل الشبهات وأهل الأهواء ولا بكلمة واحدة وهذا مستفيض ويمكن الوقوف عليه من خلال مطالعة الكتب التي حفظت أقوال السلف في كتاب السنة للإمام عبدالله بن أحمد والإبانة للعكبري وغيرهما من الكتب. المهم أن السلف رحمهم الله كانوا يحرصون على التباعد عن الشبه وهو منهج قرآني وهو أن الله سبحانه وتعالى قد أمر العباد بأن يبعدوا عن الذين يخوضون في آيات الله فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ** ﴾[1] وقال جل ذكره: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ** ﴾[2].

والخوض في الشبهات وإيرادها هو من الخوض في آيات الله ولذلك تدل هذه الآية على ما كان عليه السلف رحمهم الله من تباعد عن الشبهات وحرص على النأي عنها وسبب الشبهة أيها الإخوة أحد أمرين: قلة في العلم أو ضعف في البصيرة فكل شبهة تنشب أظفارها في قلب عبد إنما هي لأجل ضعف في علمه أو ضعف في بصيرته فمن كان على علم راسخ وبصيرة نبوية نجا من الشبهات. ومآل الشبهات أيها الإخوة الكفر أو النفاق أو البدعة أي من أنشبت الشبه أظفارها في قلبه فمآل هذه الشبهة إما أن يقع في الكفر أو أن يقع في البدعة أو أن يقع في النفاق فما كفر من كفر ولا ابتدع من ابتدع ولا نافق من نافق إلا لأجل شبهة في قلبه أوجبت هذا الأمر ولا نجاة للعبد من الشبهات إلا بتجريد المتابعة للنبي ﷺ فإذا اقتفى العبد أمر النبي ﷺ وهديه ظاهراً وباطناً وحكم سنة الرسول ﷺ في دق

---

1 () النساء: 140.

2 () الأنعام: 68.

أمره وجليله وفي ظاهر أمره وباطنه فإنه ينجو من الشبهة وقد تكلم ابن القيم رحمه الله كلاماً جيداً في إغاثة اللهفان في المجلد الثاني في صفحة ستين ومئة (160) عن فتنة الشبهة وطريق النجاة منها فمراجعته مفيدة.

قال المؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتابه كشف الشبهات:

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده. فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله. يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده؛ مثل الملائكة، وعيسى و مريم، وأناس غيرهم من الصالحين.

قال الشيخ رحمه الله: **((بسم الله الرحمن الرحيم))** وتقدم لنا أن البسملة متعلقة بفعل مقدر مناسب لحال الذاكر مؤخر غالباً، وذكرنا غالباً لأجل أي شيء؟ لإخراج ما قدم فيه الفعل أو المتعلق قبل البسملة مثل قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[1] فإنه قدم القراءة الفعل على البسملة وذلك لأهمية الأمر وأيضاً في مثل قوله: ﴿**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾[2]. فبين مصدر الرسالة قبل البسملة لأهمية هذا الأمر وإلا فالغالب أن الفعل يكون مؤخراً وفهم هذا يفيدك لأن البسملة ترد في كل كتاب.

قال رحمه الله: **((اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة))** افتتح رسالته رحمه الله بتعريف التوحيد فقال: **التوحيد هو إفراد الله بالعبادة** وهذا التعريف هو لأهم أنواع التوحيد فإن

---

1 () العلق: 1.

2 () النمل: 30.

أهم أنواع التوحيد هو توحيد الإلهية الذي دعت إليه الرسل وجاءت به الأنبياء فإن الرسل دعت إلى إفراد الله بالعبادة وإن كانت قد دعت إلى توحيد الربوبية واستدلت به وذكرته وأيضاً ذكرت توحيد الأسماء والصفات إلا أن أصل البعثة هو لتقرير عبودية الله سبحانه وتعالى **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾**[1] فعرّف الشيخ رحمه الله التوحيد بأهم أنواعه وهو توحيد الإلهية والتعريف العام للتوحيد هو: إفراد الله تعالى بما يختص به في الربوبية وفي الإلهية وفي الأسماء والصفات وهذا أشمل ما يقال في تعريف التوحيد أما تعريفه هنا فهو كما ذكرنا بأهم أنواعه ويمكن أن يقال: إن الشيخ رحمه الله اقتصر على تعريف التوحيد بالإلهية يعني بتعريف توحيد الإلهية أو بذكر تعريف توحيد الإلهية لأن الشيخ سيجيب على الشبه الواردة على توحيد الإلهية فهو لم يتكلم على شبه المبتدعة والضالين في باب الأسماء والصفات إنما سيتكلم على شبه الذين ابتدعوا في باب توحيد الإلهية ولذلك عرّف التوحيد بقوله رحمه الله: **هو إفراد الله بالعبادة** والعبادة أيها الإخوة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة وهذا أحد التعاريف التي تعرف بها العبادة وذكر شيخ الإسلام تعريفاً آخر وهو مختصر وجامع فقال: العبادة هي كل ما أمر الله به ورسوله فكل ما أمر الله به ورسوله فهو عبادة والأمر إما أن يكون أمر إيجاب أو أمر استحباب.

ثم قال رحمه الله: **((وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده))** الضمير في قوله: **وهو** المراد به توحيد العبادة. **دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده** فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسل إلى عباده بتوحيد الإلهية بإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ودليل هذا قول الله جل وعلا: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾**[2] و **﴿لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾** أي ولا إله إلا الله معناها لا معبود بحق إلا الله وهي تقتضي إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وأيضاً قال جل ذكره: **﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ**

---

1 () النحل: 36.

2 () الأنبياء: 25.

أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ[1] وقال سبحانه وتعالى: **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**[2] **قال النبي ﷺ في الحديث الذي في الصحيحين: ((أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد))**[3] ﷺ فهذا يدل على وحدة الرسالة وأن الرسل جاؤوا جميعاً بتقرير توحيد الإلهية وبدعوة الناس إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده دون غيره.

قال الشيخ رحمه الله: **((فأولهم نوح عليه السلام))** أول الرسل نوح ودليل أوليته قول الله سبحانه وتعالى: **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**[4] هذه تشير إلى أن أول من أوحى الله إليه من الرسل هو نوح عليه السلام وأصلح من هذا في الدلالة على أولية رسالة نوح عليه السلام ما في الصحيحين من حديث أنس وغيره في حديث الشفاعة **عن النبي ﷺ قال: يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول: لست هناكم ويذكر ذنبه فيستحي ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض))**[5] وكل هذا صريح بيّن في أن أول الرسل نوح عليه السلام ما الذي جاء به نوح؟ **((أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً))** غلوا فيهم فتجاوزوا بهم الحد الذي جعله الله لهم والغلو أيها الإخوة هو مجاوزة الحد هذا تعريفه اللغوي فكل من جاوز

---

1 () النحل: 2.

2 () النحل: 36.

3 () أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء برقم 3187 وأخرجه مسلم في الفضائل برقم 4362.

4 () النساء: 163.

5 () أخرجه البخاري في تفسير القرآن برقم 4116 وأخرجه مسلم في الإيمان برقم 284.

الحد الذي جعل له فقد غلا وأما تعريفه في الاصطلاح فهو مجاوزة أمر الله تعالى في العبادات أو العقائد وقال بعضهم: الزيادة على المشروع في العقائد أو العبادات ومرد الغلو هو الطغيان فمن طغى في شيء أو فمن غلا في شيء فقد طغى وتجاوز وهؤلاء غلوا في الصالحين في ودٍ وسواع ويغوث ويعوق ونسر وهؤلاء كما قال ابن عباس في الصحيح: أسماء رجال صالحين من قوم نوح لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم أنصاباً فنصبوا هذه الأنصاب ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت فهم في أصل فعلهم إنما نصبوا هذه الأنصاب لأجل تذكر هؤلاء والتشوق إلى العبادة والاشتغال بذكر الصالحين الذي يعين على العبودية لله سبحانه وتعالى فتجاوز الأمر شيئاً فشيئاً إلى أن وقعوا في عبادتهم من دون الله سبحانه وتعالى.

ثم قال الشيخ رحمه الله: **((وآخر الرسل محمد ﷺ))** وهذا لا شك فيه فإن النبي ﷺ آخر الرسل قال الله جل ذكره: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[1] فختم الله سبحانه وتعالى النبوات بمحمد ﷺ فلا نبي بعده.

ثم قال رحمه الله: **((وهو الذي كسّر صور هؤلاء))** اسم الإشارة في هؤلاء عائد إلى أي شيء؟ إلى أسماء الرجال الصالحين أصنام الرجال الصالحين الذين غلا بهم قوم نوح وكيف ذلك؟ بيان هذا **ما ذكره البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: ((صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع))**[2] وهذا يدل على أن هذه الأصنام بعثت وأحييت بعد الطوفان فصارت إلى العرب وتعلقوا بها وعبدوها من دون الله بل وزادوا أصناماً كثيرة وأوثاناً كثيرة عبدوها من دون الله فالكعبة كان فيها أكثر من ثلاثمائة صنم كما ذكر أصحاب السير. وقد كسّر النبي ﷺ الأصنام حسيّاً ومعنويّاً أما حسياً فقد باشر هو ﷺ تكسير بعض

---

1 () الأحزاب: 40.

2 () أخرجه البخاري في تفسير القرآن برقم 4539.

الأصنام وأما معنويّاً فإن رسالته حطمت الأصنام فإن الجزيرة دانت له وقد بعث البعوث لتحطيم الأصنام ولتحطيم ما كان يشرك به العرب من دون الله وبهذا نفهم أن الأنبياء والرسل جاؤوا لتقرير أمرٍ واحد فأولهم نوح دعا إلى التوحيد وآخرهم محمد كسر الأصنام وفي هذا بيان وحدة رسالة الرسل وأنهم جاؤوا لتقرير أمرٍ واحد فالذي اعتنى به أولهم هو مضادة الشرك والتحذير منه والذي عمله آخرهم هو تكسير الأصنام وإقامة الدين لله سبحانه وتعالى وحده دون غيره.

ثم قال رحمه الله: **((أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً))** الضمير في **((أرسله))** عائد إلى أي شيء؟ إلى النبي إلى **((قوم))** هم قريش **((يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً))** بل ويصلون الرحم ويطعمون المسكين لكن هذه العبادات لم تنفعهم شيئاً ولم تغن عن بعث رسول لأنها كانت مشوبة بالشرك وعدم الإخلاص لله جل وعلا فكانوا يلهجون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك وكانوا يذبحون لغير الله ويستقسمون بغير الله ويلجؤون إلى غيره ويسألون جلب النفع ودفع الضر ورفعه من غير الله تعالى ولذلك كانوا بحاجة إلى أن يبعث إليهم من يقرر التوحيد وبهذا نفهم أن الله سبحانه وتعالى لم يأمر خلقه أو لم يخلق خلقه لمجرد العبادة فقط التي تكون له ولغيره بل خلق الخلق لإفراده بالعبادة قال جل ذكره: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**[1]. قال ابن عباس: "كل موضع أمر الله سبحانه وتعالى فيه بالعبادة في القرآن فإن المراد به التوحيد" أي ما خلق الله الخلق إلا ليوحدوه جل ذكره وبهذا نفهم أن كثرة العبادة مع عدم الإخلاص لا تغني شيئاً بل صاحبها في النار ولذلك قال ابن القيم رحمه الله: "كثير العبادة التي نزع منها الإخلاص لا تنفع، وقليل العبادة مع الإخلاص والتوحيد تعلي قدر العبد عند الله سبحانه وتعالى وترفعه إلى منازل عليا". فالإخلاص هو الأصل ولذلك لم يأتِ النبي لقوم لا يعبدون الله فأمرهم بالعبادة بل أتى إلى قوم يعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً إلا أنهم وقعوا في الشرك

[1] () الذاريات: 56.

فصحح التوحيد وأمر بإفراد العبادة لله جل ذكره.

ثم قال الشيخ رحمه الله: **((ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله))** وفسر هذه الوساطة بقوله: **((يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين))** فهؤلاء زعموا أن بين الخلق وبين الله وسائط والوسائط نوعان نوع لابد من إثباته ونوع جاء الشرع بإبطاله ونفيه أما النوع الأول فهم الرسل الذين يبلغون رسالات الله ويدلون على طريق التعبد لله ويبينون للناس معبودهم فهؤلاء لابد منهم ولا تقوم الحياة إلا بهم ولذلك بعث الله سبحانه وتعالى الرسل إلى كل أمة فقال: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً﴾**[1]. فكل أمة محتاجة إلى هذا النوع من الوساطة التي يحصل بها تبليغ الدين وتعريف الناس بحق الله سبحانه وتعالى وما يجب له من العبادات وما يجب له من الأسماء والصفات والأفعال وحق هؤلاء الوسطاء أن يطاعوا ويتبعوا ويقتدى بهم هذا حقهم وليس حقهم أن تصرف لهم أنواع العبادة بل حقهم أن يطاعوا وأن يتبعوا وأن يقتدى بهم أما النوع الثاني من أنواع الوسائط فهو الذي ذكره الشيخ رحمه الله هنا في قوله: **((ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون: نريد منهم التقرب))** وبهذا نفهم أن المشركين لم يكونوا يعتقدون في هذه الوسائط إنها تخلق من دون الله ولا أنها تملك من دون الله ولا أنها تدبر من دون الله إنما كانوا يعتقدون أن هذه الواسطة وسيلة يتوصلون بها إلى مقاصدهم يعتذرون يقولون: نحن ليس عندنا أو ليس لنا عند الله جاه وليس لنا عند الله مكانة فنسأل الله بمن له جاه عنده وبمن له مكانة عنده فوقعوا في الشرك وهذا هو قول الله سبحانه وتعالى: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾**[2] فإنهم اتخذوا هؤلاء الأولياء لأجل أي شيء؟ ليقربوهم إلى الله زلفى وهذا أيها الإخوة هذا الموضوع أو هذه القضية هي البوابة الكبرى التي يدخل منها المشركون في الشرك قديماً وحديثاً فإن

---

1 () النحل: 36.

2 () الزمر: 3.

القضية التي يعتمد عليها أو السبب الذي يعتمد عليه ويسوغ به كثير من المشركين وكثير من الواقعين في صرف العبادة لغير الله أفعالهم إنما هي قضية الشفاعة والوسيلة ولذلك قطع الله سبحانه وتعالى عليهم الطريق وأغلق دونهم الباب فقال: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ**﴾[1] فأتى إلى الباب الذي يعتمدونه ويلجؤون إليه فالشفاعة التي تعتمدون عليها في تسويغ الشرك لا تنفع إلا بإذنه ويدلك على أن هذا هو أصل الشرك قوله جل ذكره: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[2] فجعل اتخاذ هؤلاء شفعاء شركاً ثم قال: ﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾[3] أي ما كان الناس إلا ملة واحدة وهي التوحيد فاختلفوا وسبب اختلافهم هو هذه الشبهة المذكورة في الآية المتقدمة وهي أنهم قالوا: ﴿**هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾ فهذا يدلك على أن أصل الشرك الذي وقع بسببه المتقدمون وهو أيضاً وقع بسببه المتأخرون في الشرك هو أنهم لجؤوا إلى غير الله في طلب حوائجهم وزعموا أن هؤلاء شفعاء وأننا لا نصرف إليهم هذه العبادة لأنهم يخلقون ولا لأنهم يملكون ولا لأنهم يدبرون بل لأنهم وسائط وشفعاء.

ثم قال الشيخ رحمه الله: **((ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط))** علة هذه الوسائط أنهم يتخذونهم سبيلاً إلى التقرب إلى الله ويتخذون شفاعتهم سبيلاً إلى تحقيق مطالبهم.

ثم مثل لهذه الوسائط فقال: **((مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين))** والمشركون كما سيتبين لنا من خلال كلام الشيخ رحمه الله لم يكونوا مقتصرين في عباداتهم على الملائكة والصالحين بل عبدوا أيضاً الأحجار والأشجار وغيرها وإنما

---

1 () سبأ: 22.

2 () يونس: 18.

3 () يونس: 19.

يبدو لي والعلم عند الله أضرب الشيخ عن ذكر هذا لأنه إذا كانت عبادة هؤلاء من دون الله لا تصح عبادة الملائكة وعبادة عيسى ومريم وغيرهم من الصالحين لا تنفع فانتفاء النفع في عبادة غيرهم من الجمادات من باب أولى.

الدرس الثاني:

فبعث الله إليهم محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لغير الله لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ وقوله: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ۝ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ وغير ذلك من الآيات.

قال الشيخ رحمه الله: **((فبعث الله إليهم محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام،))** بعث الله محمداً ﷺ إلى هؤلاء الذين كانوا يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم فالذين بعث فيهم النبي ﷺ كان معهم من بقايا دين إبراهيم شيء قليل فبعث الله سبحانه وتعالى محمداً يجدد لهم هذا الدين ووراثتهم لدين إبراهيم إنما هي بسبب كونه من ولد إسماعيل وإسماعيل بقي في مكة وإلا فإنهم لم يبعث إليهم رسول خاص كما قال جل ذكره: ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ**

غَافِلُونَ[1]. فإن قريشاً والعرب لم يبعث إليهم رسول يدعوهم إلى التوحيد وإنما كانوا على بقايا دين إبراهيم فلما اشتد الانحراف وعمت الضلالة بعث الله سبحانه وتعالى نبينا محمداً فجدد الرسالة وأقام الدين ونشر التوحيد فجزاه الله عن الأمة خير ما جزى نبياً عن أمته. **((يخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما))** بعد وهذا لا شك في أن العبادة هي حق الله سبحانه وتعالى دون غيره **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** [2] والآيات الدالة على وجوب إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وعدم صرفها لغيره كثيرة جداً منها هذه الآية التي ذكرناها ويشهد لهذا أيضاً **حديث معاذ الذي فيه أن النبي سأله عن حق الله على العباد وحق العباد على الله فقال مخبراً له : ((حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً))**[3] فهذا حق الله الذي لا يجوز صرفه لغيره وهو يغضب سبحانه وتعالى إذا صرف هذا الحق لغيره ((**من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**))[4] ولذلك كان الشرك أعظم الظلم **إن الشرك لظلم عظيم** [5] وذلك أنه وضع للشيء في غير موضعه فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فإذا صرفت العبادة لغير الله وتقربت لغير الله فقد وقعت فيما نهى الله سبحانه وتعالى عنه وضللت ووقعت في أشنع وأعظم أنواع الظلم.

ثم قال الشيخ رحمه الله: **((لا يصلح منه شيء))** أي لا يصلح من هذا التقرب وهذه العبادة شيء **((لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل))** فالواجب أن يفرد الله سبحانه وتعالى بالعبادة فلا يصرف شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل. **((فضلاً عن غيرهما))** يشير بهذا إلى الأحجار والأصنام وغيرها مما عبده المشركون.

---

1 () يس: 6.
2 () البينة: 5.
3 () أخرجه البخاري في الجهاد والسير برقم 2644.
4 () أخرجه مسلم في الزهد والرقائق برقم 5300.
5 () لقمان: 13.

ثم قال رحمه الله في بيان أن الذين بعث فيهم النبي كانوا يقرون بتوحيد الربوبية قال: **((وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو ولا يحيي إلا هو ولا يميت إلا هو ولا يدبر الأمر إلا هو وأن جميع السماوات ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره))** وهذا الإقرار لم ينفع المشركين فإن إقرارهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وأنه هو المالك وأنه هو المدبر وأنه هو الرازق لم ينقلهم من الشرك إلى التوحيد وهذا يفيدك فائدة مهمة وهي أن من يفسر لا إله إلا الله بأنه لا خالق إلا الله وأنه لا مدبر إلا الله وأنه لا مخترع إلا الله فإنه قد ضل ضلالاً مبيناً إذ إن هذا لا خلاف فيه بين الرسل وأقوامهم فإن الله قد فطر الخلق على الإقرار بربوبيته سبحانه وتعالى وإنما وقع الخلاف في صرف العبادة لغيره فالمشركون استساغوا وسوغوا صرف العبادة لغير الله تعالى والرسل جاءت تأمر الناس بوجوب صرف العبادة له وحده دون غيره سبحانه وتعالى وتوحيد الربوبية تقدم الكلام عليه وهو إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير ودليل هذا ما ذكره الشيخ قال: **فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾**[1] هذا فيه أن المشركين يقرون بأن الله هو الخالق وأنه هو المالك وأنه هو المدبر من أين نأخذ بأن المشركين يقرون بأن الله هو الخالق؟ يعني من هذه الآية **﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾** فهذا فيه الخلق والإقرار بأن الله سبحانه وتعالى هو المحيي المميت وأنه لا يحيي إلا هو ولا يميت إلا هو هذا من مستلزمات الإقرار بتوحيد الربوبية ولذلك بعض العلماء يقولون: توحيد الربوبية هو أن تقر بأنه لا خالق إلا الله ولا مالك إلا الله ولا مدبر إلا الله وأن الله هو المحيي المميت الإحياء خلق ولا إشكال فيه أما الإماتة فكيف تكون خلقاً؟ إذ الله عز وجل قال: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ**

---

1 () يونس: 31.

الْغَفُورُ[1] فالذي قال: إن الموت خلق هو الله جل ذكره إذاً هذا الدليل على أن الإماتة والإحياء من الخلق والخلق من مستلزمات الإقرار بأن الله جل ذكره هو الرب **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ** إذاً هذا دليل الخلق من هذه الآية دليل الملك في قوله: **أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ** دليل التدبير **وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ** والرزق داخل تحت هذه الثلاثة الأمور ولو أضفته مستقلاً لا بأس إذاً هذه الآية جمعت ما يجب اعتقاده في ربوبية الله سبحانه وتعالى ولذلك حفظها يجمع لك ما يجب اعتقاده في ربوبية الله سبحانه وتعالى في أنه هو الخالق وأنه هو المالك وأنه هو المدبر والآيات في تقرير ذلك كثيرة منها ما ذكره الشيخ رحمه الله وقوله: **قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ۝ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ**[2]. ملكوت ما المراد بها؟ ملكوت هي خزائن السماوات والأرض فالله عز وجل أمر نبيه أن يقول للمشركين: من بيده خزائن السماوات والأرض؟ فأقر المشركون بأنها لله سبحانه وتعالى فالله هو المالك والخالق والمدبر سبحانه وتعالى.

قال: **وغير ذلك من الآيات** الدالة على ربوبية الله سبحانه وتعالى والدالة على أن المشركين كانوا يقرون بأي أنواع التوحيد؟ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية.

---

1 () الملك: 2.

2 () المؤمنون: 84-89.

الدرس الثالث:

وقال أيضاً: ((ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحة ديانته وشهر صلاحه وعلمه وورعه وزهده وحسنته سيرته وبلغ من نصح الأمة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها وإن كان مخطئاً في هذه المسألة – وهي مسألة سؤال النبي الشفاعة – أو غيرها كابن حجر الهيثمي الذي كان له عدداً من الردود والكلام على بعض المسائل التي تكلم عنها شيخ الإسلام رحمه الله. وقال عبدالرحمن بن حسن رحمه الله نقلاً عن شيخ الإسلام: ونحن نعلم بالضرورة أن النبي لم يشرع لأحدٍ أن يدعو أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا بغيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها كما لم يشرع لأمته السجود لا لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله. ثم قال: ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين ما جاء به الرسول مما يخالفه. وقال عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: ((والشيخ محمد رحمه الله – يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب – من اعظم الناس توقفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر حتى انه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير من أهل القبور وغيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر مرتكبها))

هذه النصوص التي وقفت عليها وغيرها كثير تدل وتوضح موقف الشيخ رحمه الله وتلاميذه من مسألة التكفير ومن مسألة العذر بالجهل وأنه لا ينبغي الإطلاق بأن الشيخ لا يقول بالعذر بالجهل بل المسألة من حيث أصلها فيها تفصيل وذلك هو موقف الشيخ فيما يظهر من كلامه، فينظر في حال الواقع في الشرك وعلى ضوء حاله يحكم هل عذره يعذر أو هل جهله يعذر به وهذه المسألة قد أفردت بكتب وتكلم عليها كثير من المؤلفين المتأخرين من أراد الاستزادة فليرجع لهذه الكتب وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول بعدم التفريق بين مسائل الأصول ومسائل الفروع في مسالة العذر بالجهل وله في هذا كلام كثير في مواضع كثيرة.

ثم قال رحمه الله: **وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما كان يفعل الكفار خصوصاً إن ألهمك الله تعالى**

ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم: في قول الشيخ رحمه الله: **وعلمهم** نظر فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر عنهم بعد هذه الآية من كلام موسى عليه السلام أنه قال: ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾[1]. فهم ليسوا علماء لو كانوا علماء ما طلبوا إلهاً يعبد من دون الله ففي قوله: وعلمهم فيه بعض النظر فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يُخلصك من هذا وأمثاله.

---

1 () النمل: 55.

ثم قال رحمه الله: **والعامِّيُّ من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾**[1]: وكل من تمسك بكتاب الله وسُنّة رسوله ودعا إلى الله وإلى ما جاء به الرسول فهو من جند الله وكل من أعرض عن كتاب الله وسُنّة رسوله وأقبل على الشهوات والشبهات فإنه من جند الشيطان فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم الغالبون بالسيف والسِّنان.

ثم قال رحمه الله: **فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسِّنان وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح وقد مَنَّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾**[2]: فكل هدى في كتابه سبحانه وتعالى وكل ما يقربك إلى الله ويدلك على طريقه ويبعدك عن الشيطان ويحذرك من سبله وأساليبه موجود في كتاب الله وفي سُنّة رسوله .

ثم يقول رحمه الله: **﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾**[3]: وهذا من بديع إعجاز القرآن الكريم أنه لا يستدل به صاحب باطل على باطله إلا وفي كتاب الله بل في ذلك الدليل الذي استدل به إن كان دليلاً ثابتاً سواء كان من السنة أو كان من القرآن فإنه في هذا الدليل ما يُبطل حجته وما يرد شبهته كما قال تعالى: **﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾** وانظر كيف سمّى ما يأتي به المبطلون مثلاً وكيف سمّى ما في كتاب الله سبحانه وتعالى من الحجج حقاً وهذا لا شك فيه فإن ما يأتي به المبطلون هو شُبه تُدحض بالحق الذي في كتاب الله وسُنّة رسوله ، قال تعالى: **﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾** قال المفسرون: هذه الآية

---

1 () الصافات: 173.

2 () النحل: 89.

3 () الفرقان: 33.

عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

ثم قال رحمه الله: **وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا**: هنا شرع الشيخ رحمه الله في الكلام على الشبهات وردها وكل ما تقدم هو توطئة وتقدمة لهذه الشبهات وفهمنا من كلامه أن هذه الشبهات ليست من نسج الخيال ولا من صنع الأفكار وإنما هي حصاد ما ورد على الشيخ من إيرادات ولذلك كان هذا الكتاب بالمنزلة التي سمعتم من كلام الشيخ سليمان فيها رحمه الله.

ثم قال رحمه الله: **فنقول: جواب أهل الباطل من طريقتين مجمل ومفصل**: وهذه الطريقة طريقة جيدة بديعة وذلك أن الجواب على بدع المبطلين وشبهات المشبهين يُسلك فيها جواب مجمل وجواب مفصل. فالجواب المجمل ينفع في الإجابة على كل شُبهة يوردونها. وأما الجواب المفصل فتدفع به كل شبهة بعينها فإن أورد عليك المبطل شبهاً مفصلة فيكفيك في الرد عليه أن ترد عليه جواباً مجملاً فإن عجزت عن إجابة تفاصيل ما أورد عليك من الشبه كفاك ما أجبت به إجمالاً فالشيخ ذكر جواباً مجملاً يصلح في الإجابة على كل ما أورد من شبه تفصيلية.

ثم قال رحمه الله: **أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾[1]. وقد صح عن رسول الله ﷺ: ((إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم))**: وهذه تقدمة في الجواب المجمل فإنه قال رحمه الله: **((أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها))** وذكر الآية التي فيها أن كلام الله سبحانه وتعالى وأن آيات الكتاب قسمان: محكمة و متشابهه وبين سبيل المؤمنين المتبعين المقتفين لآثار

---

1 () آل عمران: 7.

الرسل وسبيل الزائغين المشبهين أما سبيل المؤمنين فهو الإيمان بما جاء في الكتاب وحمل المتشابه على المحكم وأما الزائغون فهم يتبعون ما تشابه منه وآيات الله سبحانه وتعالى قسمان: القسم الأول: محكمة. الثاني: متشابهه. فالمحكمة: هي التي تكون بينة المعنى ظاهرة المعنى فلا تحتمل إلا معنى واحداً. وأما التشابهه: فهي الآيات التي تحتمل أكثر من معنى بدون مرجح لأحدها. ومثال المحكم والمتشابه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1] فهذه الآية فيها الخطاب بالجمع ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ**﴾ فأتى بضمير الجمع في الخطاب فهذه أخذ منها بعض المشككين من النصارى أن الآلهة ثلاثة وإلا لما كان يسوغ أن يقول: نحن وهو واحد سبحانه وتعالى ولا يسوغ أن يقول إنّا وهو واحد سبحانه وتعالى فالجواب على هذا أن نقول: "إنا" و "نحن" هنا المراد بها التعظيم فإن قالوا: هذا محتمِل فنقول: الله سبحانه وتعالى قد بين لنا في كتابه أنه واحد فقال: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[2] فتكون هذه الآية من سورة الإخلاص محكمة وهذه الآية من سورة الحجر متشابهة لأنها تحتمل أكثر من معنى بزعمهم وعلى هذا نقول: نحمل المتشابه على المحكم. هذا مثال للمحكم والمتشابه وطريقة حمل المتشابه على المحكم وبيّن الله سبحانه وتعالى أن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ولذلك تمسك النصارى بهذه الآيات التي فيها تعبير الله سبحانه وتعالى عن نفسه بصيغة الجمع على أنه سبحانه وتعالى أكثر من واحد كما يزعمون أنه ثلاثة والمحكم الذي في كتاب الله سبحانه وتعالى أنه واحد كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ وكما دلت عليه الآيات والأحاديث الكثيرة.

ثم قال رحمه الله: **وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم))** وهذا الحديث في الصحيحين من حديث عائشة وفيه التحذير عن السماع لأهل الشبهات وأهل الأهواء والشبهات أيها الإخوة قد ترد على العبد ويظن أنها نابعة عن سعة

---

1 () الحجر: 9.

2 () الإخلاص: 1.

علم وعن معرفة واطلاع والغالب أن الشبهات لا ترد إلا على قلب ضعيف، فالشبهات لا تنشأ إلا عن قلة في العلم أو ضعف في البصيرة ولذلك إذا تواردت على قلبك الشبهات فاعلم أن علمك ضعيف وليس ذلك لكثرة علمك. وقد تكلم ابن القيم رحمه الله كلاماً طيباً في الحذر من الشبهات وأهل الشبهات وذكر وصية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مفتاح دار السعادة قال رحمه الله: ((فأيما قلب صغى إليها – أي إلى شبهات الباطل – وركن إليها تشربها وامتلأ بها فينضح لسانه وجوارحه بموجبها فإن أشرب شبهات الباطل تفجرت على لسانه الشكوك والشبهات والإيرادات فيظن الجاهل أن ذلك لسعة علمه وإنما ذلك من عدم علمه ويقينه وقال لي شيخ الإسلام رضي الله عنه – يشير إلى ابن تيمية رحمه الله - وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته وإلا فإذا أشرَبتَ قلبك كل شبهة تمر عليه صار مقراً للشبهات أو كما قال ا. هـ.)) يقول ابن القيم رحمه الله: ((فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك)). وهذه وصية نافعة مباركة في دفع الشبهات ودحضها وهي أن يحذر الإنسان منها وأن لا يجعل قلبه مقراً لها بل يدفعها عن قلبه ما استطاع ومن سبل دفعها دفع أهلها والنأي عنهم.

ثم قال رحمه الله: **مثال ذلك، إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] أو استدل بالشفاعة أنها حق وأن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنبي صلى الله عليه وسلم يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبه بقولك: إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يُقرون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴾**

---

[1] () يونس: 62.

هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾[1] **هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه**: يعني لا أعرف أن معناه هو الذي ذكرت وإلا فمعنى قوله تعالى: **﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** بيّن يعرفه الموحد ولكن لا يعرف الموحد من هذه الآية أنه يجوز الاستشفاع بهم ويجوز سؤالهم من دون الله سبحانه وتعالى وصرف العبادات إليهم دون الله سبحانه وتعالى.

ثم قال رحمه الله: **ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل وهذا جواب سديد ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى فلا تستهن به فإنه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾**[2] إذاً أجاب الشيخ رحمه الله على مجموع هذه الشبه التي أوردها المشرك بجواب مجمل وهو التمسك بالمحكم من الآيات ورد كل ما خالف ذلك المحكم. وهذا هو سبيل العلماء الراسخين والمقتفين لآثار النبيين والصالحين من الصحابة ومن بعدهم أنهم يتمسكون بالمحكم ويردون المتشابه إليه، فإذا قال القائل من هؤلاء المشركين: **﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** هذا يدل على أنه يجوز الاستشفاع بهم: قلنا له: ما وجه دلالة هذه الآية على ما تذكر مع أن الله سبحانه وتعالى قد أنكر على المشركين طلب الشفاعة من الأولياء المزعومين أو ممن طلبوا منهم من الصالحين والمعبودين من الملائكة والأنبياء وغيرهم. فهذا جواب مجمل ترد به على هؤلاء. ومن هذا نفهم أن الآيات المتشابهة ليست آيات محددة العدد بل هي مختلفة فقد يشتبه على شخص ما لا يشتبه على آخر فالتشابه في الآيات أمر نسبي وليس أمراً محدداً. فهذا المشرك اشتبه عليه الأمر وظن أن في قوله تعالى: **﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** يدل على ما ذهب إليه من الشرك. وذكر الشيخ رحمه الله أن هذا الجواب سديد ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله.

---

1 () يونس: 18.

2 () فصلت: 35.

ثم قال رحمه الله: **فلا تستهن به فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾**. وبهذا تعلم أن جميع ما يورده المشركون من الشبه والحجج هي شبه وحجج داحضة يعني باطلة لأن الرسل دعت إلى التوحيد ودعت إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة فأي عبادة صرفها لغير الله شرك فلو جاء بأدلة الدنيا كلها بجواز صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله رددنا هذه الأدلة وأخذنا بالأدلة الظاهرة في أن الرسل جاءت بالدعوة إلى التوحيد وعدم جواز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى. ثم صدر الشيخ رحمه الله الشبهات المفصلة بثلاث شبه مفصلة قال رحمه الله في وصفها: **واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم**: فبدأ رحمه الله في الشبهات بثلاث شبه هي كبار الشبه التي يوردوها المشبهون ويتمسك بها المسوغون والواقعون في الشرك.

وأول هذه الشبه قال رحمه الله: **وأما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه. منها قولهم: نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبدالقادر أو غيره**: كل هذا فهمنا منه أن المشرك يُقر بتوحيد الربوبية ويظن أن عدم إشراكه هو إقراره بتوحيد الربوبية لأنه صدّر كلامه بقوله: **((نحن لا نشرك بالله))** وما الدليل على عدم شركه بالله؟ قال: **((بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له))** فهذا أخطأ في فهم توحيد الإلهية فظن أن توحيد الإلهية هو أن يعتقد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن عبدالقادر أو غيره.

ثم قال رحمه الله عنهم: **ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم**: هذه هي الشبهة الكبرى التي وقع بها المشركون في الشرك والدليل قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا**

مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى[1]
وقوله تعالى: **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**[2] فما ذكره هذا المشرك عين ما احتج به أعداء الرسل على رسلهم وأنهم لم يصرفوا العبادات لأجل هؤلاء إنما صرفوها لأجل تحصيل الشفاعة منهم وأن لهم جاهاً عند الله. ولذلك قال الشيخ رحمه الله: **فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ومقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه**: إذاً فهمنا الجواب على الشبهة الأولى، الجواب على الشبهة الأولى من وجهين:

الوجه الأول: بيان معنى توحيد الإلهية، لأن هذا ظنّ أن توحيد الإلهية هو أن يعتقد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له وإنما الإقرار بهذا هو إقرار بتوحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون كما قال سبحانه وتعالى: **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ**[3] فهم مقرون بهذا ولا نقاش.

الوجه الثاني: أن نقول إن ما احتججت به هو الذي احتج به المشركون على رسلهم فإنك ليس تزعم أنك تطلب منهم الشفاعة وأنك ترغب في الجاه الذي عندهم وأنت ليس عندك جاه والله سبحانه وتعالى قد ذكر ذلك عن المشركين وحكم عليهم بالشرك بهذا.

---

1 () الزمر: 3.
2 () يونس: 18
3 () يونس: 31

الدرس السادس:

ثم قال: **وإن قلت: لا. بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.** فيقر لنا بأنه لا تطلب الشفاعة من النبي مع إثباتها له وأنه قد أعطيها. وهناك وجه أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله في الجواب على هذه الشبهة في القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة: ذكر رحمه الله أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن الملائكة يشفعون ويدعون للمؤمنين **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**[1] إلى الآيات التي تليها ففي جميعها دعاء للذين تابوا والدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم، فإثبات دعاء الملائكة من هذه الآية لم يجعل سؤال الدعاء منهم مشروعاً فلم ينقل عن النبي ولا عن الصحابة ولا عن القرون المفضلة أنهم سألوا الملائكة الدعاء فدل ذلك على عدم جواز مشروعية سؤال الدعاء أو الشفاعة ممن أعطيها بل لا يُسأل إلا الله سبحانه وتعالى. وبهذا تسقط هذه الشبهة. وننتقل إلى الشبهة التي بعدها. .

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لا يغفره، فما الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره، فإن كان لا يدري، فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟؟

الشبهة السابعة تبتدئ بقوله: **فإن قال أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك،** قبل قليل ماذا قال؟ الالتجاء إلى الصالحين ليس عبادة وأثبتنا له أنها عبادة والقاعدة أن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله فهو شرك الآن عاد وقال: ليس بشرك فقل له: **إذا كنت تُقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتُقر أن الله لا يغفره**

---

1 () غافر: 7.

فما هذا الأمر الذي عظمه الله وذكر أنه لا يغفر **فإنه لا يدري**. وحقيقةً أنه لا يدري إذا كان يقول: إن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك فإنه لا يدري ما الشرك الذي حرمه الله سبحانه وتعالى وذكر أنه لا يغفره **فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يُحرِّم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه أتظن أن الله يُحرِّمه ولا يبينه لنا؟!** لا والله لا يُحرِّم الله شيئاً علينا إلا بعد أن يُبينه ويوضحه إما في كتابه أو في سُنّة نبيه وأعظم ما حرمه الله سبحانه وتعالى على الناس هو الشرك به ولذلك جاء الكتاب كله في تقرير التوحيد كما قال ابن القيم رحمه الله: فآيات الكتاب إما أن تكون بياناً للتوحيد أو ونهياً عن ضده أو بياناً لحقوقه أو بياناً لجزاء من حققه أو لبيان عقوبة من خالفه، فالقرآن كله في بيان التوحيد الذي ضده الشرك. والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء.

فالله سبحانه وتعالى بين التوحيد والشرك في كتابه أعظم بيان والشرك الذي حرمه الله سبحانه وتعالى هو تسوية غيره به في الربوبية أو في الألوهية أو في الأسماء والصفات والشرك الذي نتكلم عليه هنا هو شرك الإلهية الذي هو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، وقد تقدم معنا قبل قليل أن الدعاء عبادة فأجر القاعدة: صرف العبادة إلى غير الله يؤدي إلى الشرك وهذا صرف الدعاء لغير الله فهو واقع في الشرك. ولذلك لم يفصّل الشيخ رحمه الله في الجواب على هذه الشبهة لأنه قد تكلم عليها فيما مضى أي في الشبهة التي ذكر فيها المشبه أن الدعاء ليس عبادة. ثم انتقل إلى شبهة أخرى فقال: كلام المؤلف. . .

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام
فقل: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[1].
وإن قال هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون، إنه يقربنا إلى

---

1 () يونس: 31.

الله زلفى ويدفع عنا ببركته ويعطينا ببركته.
فقل صدقت، وهذا فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، وهو المطلوب ويقال له أيضاً قولك: "الشرك عبادة الأصنام"، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا؟ فهذا يرده ما ذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب.

هذه الشبهة هي قريبة من الشبهة التي تقدمت في الشبه الكبار وهي التفريق بين عبادة الأصنام وعبادة غيرها **فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن**. إذاً مفهوم العبادة التي ذكرها الشيخ رحمه الله هنا أن تلك الأخشاب تخلق وترزق وتدبر ليس سليماً وليس مستقيماً إذ إنهم لا يعتقدون ذلك، فالله سبحانه وتعالى أخبر عنهم أنهم كانوا يقولون عندما يُسألون: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾[1] الآيات ﴿**فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ**﴾[2] فكانوا يقرون لله سبحانه وتعالى بتوحيد الربوبية.

وإن قال هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون، إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع عنا ببركته ويعطينا ببركته.
فقل صدقت، وهذا فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، وهو المطلوب ويقال له أيضاً قولك: "الشرك عبادة الأصنام"، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا؟ فهذا

---

1 () يونس: 31.
2 () يونس: 31.

يرده ما ذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب.
وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله؛ فسره لي؟ فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام فسرها لي؟ فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده. فقل: ما معنى عبادة الله وحده فسرها لي؟ فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه؟ وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب).
فهذه هي ثامن الشبة التي ذكرها الشيخ رحمه الله وهي قول المشبه الشرك عبادة الأصنام. . .

ثم قال رحمه الله: **وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله. فقل: وما الشرك بالله فسره لي؟ فإن قال: هو عبادة الأصنام. فقل وما معنى عبادة الأصنام فسرها لي؟ فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده. فقل: ما معنى عبادة الله وحده فسرها لي؟ فإن فسرها بما بيَّنه القرآن فهو المطلوب:** والذي بيَّنه القرآن في تفسير العبادة هو أنها: كل ما أمر الله سبحانه وتعالى به وأمر به رسوله وألا تُصرف إلا لله سبحانه وتعالى وحده دون غيره. فهذا الذي يدل عليه القرآن في معنى العبادة. **وان لم يعرف فكيف يدّعي شيئاً وهو لا يعرفه؟ وإن فسر ذلك معناه بيّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا:**

﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1]:
والمشركون الأوائل وورثتهم من مشركي الأزمان المتأخرة يستهتزئون بكل من دعا إلى التوحيد ويسخرون منه بل ويصيحون بأعلى أصواتهم قائلين: **﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾** وما ذلك إلا أنه كبر عليهم أن يتوجهوا بالعبادة لله وحده سبحانه وتعالى وإلا فلازم إقرارهم بأن الله هو الرزاق وأنه لا يرزق غيره وأنه لا يملك غيره ولا يدبر غيره ألا تصرف العبادة إلا له سبحانه وتعالى دون غيره.

فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنما يكفرون لما قالوا: الملائكة بنات الله؛ فإنا لم نقل: عبد القادر ابن الله ولا غيره. فالجواب: أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[2]، والأحد الذي لا نظير له، والصمد المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا؛ فقد كفر، ولو لم يجحد السورة.
وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[3]، ففرق بين النوعين، وجعل كلا منهما كفراً مستقلاً.
وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[4]، ففرق بين كفرين. والدليل على هذا أيضاً أن الذين كفروا بدعاء اللات، مع كونه رجلاً صالحاً؛ لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك، وكذلك أيضاً العلماء في جميع المذاهب الأربعة؛ يذكرون في باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً؛ فهو مرتد، ويفرقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح.
وإن قال: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5]. فقل: هذا هو الحق، ولكن لا يُعبدُون، ونحن

---

1 () ص: 5
2 () الإخلاص: 1-2.
3 () المؤمنون: 91.
4 () الأنعام: 100
5 () يونس: 64

لم نذكر إلا عبادتهم مع الله، وشركهم معه، وإلا؛ فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين.

ثم قال رحمه الله: **فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء وإنما يكفرون لمّا قالوا: الملائكة بنات الله فإنا لم نقل: عبدالقادر ابن الله ولا غيره**. وهذه الشبهة هي التاسعة وهي شبهة زائدة وهي قولهم إن المشركون إنما كفروا بنسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى ولم يكفروا بالتوجه إلى الصالحين وإلى الملائكة وإلى غيرهم ممن زعموهم يقربونهم عند الله. فالجواب عن هذه الشبهة ما ذكره الشيخ رحمه الله: **إن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[1] والأحد: الذي لا نظير له. والصمد: المقصود في الحوائج** فمن جحد هذا فقد كفر ووجه الدلالة في نفي الولد عن الله سبحانه وتعالى في هذه السورة في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[2] وكذلك في قوله: ﴿أَحَدٌ﴾ فهو لا يحتاج إلى ولد , وفي قوله: ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي تصمد إليه الخلائق، والنص في نفي الولد عنه سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾. **فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد السورة وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[3] ففرّق بين النوعين وجعل كلاًّ منهما كفراً مستقلاً. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[4]** جعل سبحانه وتعالى الكفر الذي وقع فيه المشركون أنهم جعلوا لله شركاء الجن واخترعوا له واختلقوا بنين وبنات بغير علم. ثم قال رحمه الله: **ففرّق بين الكفرين بين الكفر بنسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى وبين الكفر بإشراك غيره معه في العبادة. والدليل على هذا أيضاً أن**

---

1 () الإخلاص: 1، 2
2 () الإخلاص: 3
3 () المؤمنون: 91.
4 () الأنعام: 100.

الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلاً صالحاً لم يجعلوه ابن الله والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك. إذاً استدل الشيخ رحمه الله على إبطال هذه الشبهة بأن هذا القول كفر مستقل ولو لم يضف إليه الشرك بالله سبحانه وتعالى واستدل لهذا بقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ فذكر نوعي الكفر في هذه الآية واستدل بواقع المشركين فإن من المشركين من كان يعبد غير الله ولا يدّعيه ولداً لله سبحانه وتعالى كما كانوا يعبدون اللات ولم يقولوا: إنه ابن الله وكما كانوا يعبدون الجن ولم يقولوا: إنهم أبناء الله أو أولاد الله. يقول: **وكذلك أيضاً:** يعني في الاستدلال على أن نسبة الولد لله تعالى كفر مستقل **العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً فهو مرتد** ولو لم يشرك معه ذلك الولد ولو لم يشرك معه غيره في العبادة **ويفرِّقون بين النوعين وهذا في غاية الوضوح**.

ثم قال رحمه الله: **وإن قال في الاستدلال على شبهته: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[1] هذا يستدل به على جواز دعائهم وسؤالهم وطلب الشفاعة منهم وهذه هي الشبهة العاشرة **فقل: هذا هو الحق ولكن لا يُعبدون** هذا حق ما ذكرته من أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حق نثبته من وروده في كتاب الله سبحانه وتعالى ولكن هذا لا يسوغ عبادتهم ولا صرف العبادة لهم من دون الله سبحانه وتعالى **ونحن لم نذكر إلا عبادتهم** مع الله يعني لما أنكرنا عبادة الأولياء لم ننكر فضلهم ولا منزلتهم ولا مكانهم ولا ما أعده الله سبحانه وتعالى لهم إنما أنكرنا صرف العبادة لهم دون الله **ولكن لا يُعبدُون، ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله، وشركهم معه، وإلا؛ فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكراماتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين.**

---

[1] () يونس: 62.

الدرس الثامن:

رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ فأثبت له النبوة كفر وحلّ دمه وماله ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً في مرتبة جبار السماوات والأرض أليس هذا أولى بالتكفير؟ بلى والله إنه أولى بالتكفير ولذلك استعظم الشيخ رحمه الله التفريق بين هذين فقال: **سبحان الله ما أعظم شأنه** من أن يُسوى به غيره ثم لا يكفر هذا المسوي: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[11] والله هو الطبع الذي أعمى بصائرهم عن رؤية هذه الآيات البينات الواضحات.

ثاني شاهد: **ويقال أيضاً: الذين حرَّقهم عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه كلهم يدّعون الإسلام وهم من أصحاب عليٍّ رضي الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما. فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في عليٍّ بن أبي طالب يُكفِّر؟.**

هذا هو الشاهد الثاني وهو ما حدث من حرق عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار للذين قالوا: إنه ربهم وغلوا فيه حتى رفعوه إلى

---

1 () آل عمران: 97.
2 () النساء: 150 – 151.
3 () الذريات: 56.
4 () النحل: 36.
5 () الأنبياء: 25.
6 () أخرجه البخاري في كتاب باب أخذ الصدقة من الأغنياء برقم: 1401 من حديث ابن عباس رضي الله عنه.
7 () أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز من حديث معاذ بن جبل برقم: 2709.
8 () البقرة: 21.
9 () الروم: 59.
10 () الأحزاب: 40.
11 () الروم: 59.

مرتبة الألهية كلهم يدّعون الإسلام بل هم من أصحاب عليّ وتعلموا العلم من الصحابة !! **ولكن اعتقدوا في عليّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما** من أنهما تُصرف لهما العبادة من دون الله سبحانه وتعالى. يقول: **فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟** فإن علياً رضي الله عنه لما قتلهم لم ينكر ذلك أحد من صحابة النبي وإنما وقع الخلاف في إحراقهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما قولاً فُهم منه أنه لا يرى إحراقهم وإنما يرى قتلهم بغير الإحراق لقول النبي : **((لا يعذب بالنار إلا رب النار))**[1] وإلا فالصحابة اتفقوا على جواز قتلهم وأنهم إنما قتلوا كفاراً **أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين** لا والله حاشاهم فهم أورع الناس أن يكفروا مسلماً. **أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في عليِّ بن أبي طالب يُكفّر** الظاهر أنهم يظنون وإلا لما أجازوا صرف العبادة لهؤلاء.

والشاهد الثالث الذي ذكره الشيخ رحمه الله: **ويقال أيضاً: بنو عبيد القدَّاح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.**

بنو عبيد القدّاح انتسبوا إلى عبيدالله بن ميمون القدّاح وهو يهودي في الأصل ادعى الإسلام وادعى أنه من ولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة فدعا إلى نفسه وتشرذم حوله بعض ضعفاء الدين والإيمان والعقل فكوّن دولة في بلاد المغرب حكم فيها المسلمين وتسلط عليهم وأظهر الكفر والفساد والبدع وامتدت دولته إلى مصر وهم يعرفون بالدولة العبيدية أو الفاطمية ومدة حكم هذه الدولة كانت قرابة مائتي سنة وهم الروافض الغلاة الذين ساموا

---

1 () أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد من حديث حمزة الأسلمي برقم: 2299.

المسلمين سوء العذاب إلا أن الله طهر البلاد منهم وأدال أهل السنة عليهم فأسقطت دولتهم وتبددوا وتفرقوا. هؤلاء ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدّعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة إلا أنهم أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه من صرف العبادة لغير الله أو من تجويز صرف العبادة لغير الله.

يقول رحمه الله: **أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم.**
فالعلماء في ذاك الزمان أباحوا قتالهم بل أوجبوا قتالهم وحكموا عليهم بالكفر والردة وأن بلادهم بلاد حرب كما يقول الشيخ **وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين** فلم ينفعهم الإقرار بالشهادتين ولم ينفعهم إقامة الجمعة والجماعات , مع ما أنكروه من شريعة رب السماوات.

قال رحمه الله أيضاً في الجواب على هذه الشبهة: **ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقران، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب "باب حكم المرتد" وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوعٍ منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.**

هذا رابع الشواهد الدالة على أن من أنكر شيئاً مما جاء به النبي فإنه يكفّر ولو أتى ببقية شرائع الدين وأقر بها وذلك أن العلماء على اختلاف مذاهبهم ذكروا في كتبهم باب حكم المرتد وذكروا في هذا الباب أشياء يكفّر بها وهي دون ما يزعمونه من جواز صرف العبادة لله سبحانه وتعالى.

قال الشيخ رحمه الله: **ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يُكفِّر ويُحلُّ دم الرجل وماله حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند**

من قالها مثل كلمة يذكرها بلسانه كأن يسب الله أو يسب رسوله أو يسب الدين أو يستهزئ بآيات الله ورسوله **دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب** كأن يسب الله مازحاً أو يستهزئ بالنبي أو يضحك مازحاً وهذا له شواهد سيذكر الشيخ رحمه الله منها ما ذكره الله سبحانه وتعالى وقصه علينا في نبأ أولئك الذين استهزؤوا بالنبي وأصحابه في غزوة تبوك.

ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[1] أما سمعت أن الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون، وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[2] فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

ومن هذا يتبين عظيم خطر اللسان وأن الإنسان قد يتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب فالواجب امتثال قول النبي : **((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))**[3] فالأصل الصمت كما قال النبي : **((من صمت نجا))**[4] فإن احتجت إلى الكلام فانظر هل في هذا الكلام خير؟ فإن كان فيه خير فبادر إليه وسابق فإنك مأمور بالمسابقة إلى الخيرات وإن كان غير ذلك فتوقف حتى تنظر عاقبة كلامك.

---

1 () التوبة: 56

2 () التوبة: 65-66

3 () أخرجه البخاري في كتاب الأدب من حديث أبي هريرة برقم: 5559.

4 () أخرجه أحمد من حديث عبدالله بن عمر بن العاص برقم: 6367 وأخرجه الدارمي في كتاب الرقاق برقم: 2597.

فالشاهد من إيراد هذه القصة أن هؤلاء قوم آمنوا بالله وآمنوا برسوله وآمنوا بالبعث فيما يظهر وجاهدوا مع النبي كفروا بسبب كلمة قالوها وهذا يدل على أن من أقر ببعض الدين وأتى بمكفر من جهة أخرى فإنه يحكم بكفره ولا يُنظر إلى إقراره بلا إله إلا الله بل لا بد أن يُقِر بلا إله إلا الله وأن يأتي بجميع ما يقتضيه هذا الإقرار.

ثم قال رحمه الله: ثالثة الفوائد التي تؤخذ من هذه القصة **وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً** كما فعل رسول الله ﷺ فإن النبي ﷺ غلظ الأمر فقال: **((سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم))**[1] وهذا فيه أعظم تغليظ على هؤلاء السائلين والتغليظ أيها الإخوة هو هدي المتقدمين في مسائل التوحيد فإن حذيفة رضي الله عنه عندما رأى على رجل خيطاً من الحمة فنزعه ثم قال: **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾**[2] وفي الحديث: **((أن النبي ﷺ جاءه عشرة رجال يريدون أن يبايعوه ﷺ فبايع تسعة وترك واحداً كان على يده حلقة من صفر فقال: ما هذا؟ قال: من الواهنة، قال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً وإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً))**[3] وهذا فيه تعظيم الشرك وذلك أن الشرك أعظم الظلم كما تقدم فإن الله سبحانه وتعالى قال: **﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**[4] وقال النبي ﷺ لما سئل: أي الظلم أعظم؟ قال: **((أن تجعل لله نداً وهو خلقك))** فالواجب علينا أيها الإخوة التغليظ في هذا الأمر ولكن لا يعني هذا أن يغلظ على من كان معتاداً على هذا الأمر وليس في باله أن هذا الأمر محرم أو ليس في باله أن هذا الأمر منكر بل ينبغي سلوك الحكمة فمن الناس من يغلظ عليه خاصة في بلاد التوحيد وفي البلاد التي دعاة التوحيد فيها ظاهرون ويتكلمون ويعلمون الناس التوحيد فهؤلاء يُغلظ عليهم فهؤلاء صحابة وهؤلاء أتباع رسول بالنسبة لقوم موسى أما في البلاد التي ليس فيها أهل توحيد والشرك فيها هو المنتشر وعلماء السوء هم الظاهرون في الدعوة إلى الشرك وتسويغ الشرك ودعوة الناس إليه فيكون من المناسب في هذه الحال أن يسلك الإنسان سبيلاً قاصداً وهو من الحكمة أن يدعوهم بأسلوب هادئ يشرح لهم ويبيّن لهم خطورة الأمر ويسرد لهم الأدلة من الكتاب والسُنَّة الدالة على أن هذا من المحرمات وأن هذا من الشرك. المهم الواجب علينا أن

---

1 () أخرجه الترمذي في كتاب الفتن من حديث أبي واقد الليثي برقم 2106.

2 () يوسف: 106.

3 () أخرجه أحمد في مسنده من حديث عمران بن الحصين برقم 19149.

4 () لقمان: 13.

نفعل ما هو مناسب بالنسبة لمن كان بين ظهراني أهل التوحيد وأهل الدعوة السلفية الصحيحة المبنية على الكتاب والسنة فهذا ينبغي أن يشدد عليه ويغلظ لأن هذا من تقصيره وتفريطه أما من كان بين ظهراني المبتدعة وكان بين علماء السوء الذين يسوغون الشرك ويدعون إليه فسلوك السبيل المناسب هو الأولى وهو الأحسن.

ثم قال رحمه الله: وهذا يصدق عليه قول ذلك الرجل:

وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، وقال له: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟" وكذلك قوله: "امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء الجهلة: معلوم أن رسول الله قاتل اليهود وسباهم وهو يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم على بن أبي طالب بالنار.

وهؤلاء الجهلة يقولون: إن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع؟ وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث، ولن يفهموا.

هؤلاء يصدق عليهم قول القائل:

ما زالت الشبهات تغزو قلبه حتى تشّحط بينهن قتيلا

فهؤلاء غزت الشبهات قلوبهم ولذلك أصبحوا يتعلقون في تسويغ ما هم عليه من باطلٍ وشرك بكل ما فيه أدنى شبهة وإلا فالأحاديث يصدق بعضها بعضاً **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**(النساء: من الآية 82) فالكتاب والسُنّة من عند الله سبحانه وتعالى ولا يمكن أن يوجد فيها اختلاف كما أخبر جل وعلا في قوله: **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً**

كَثِيراً استندوا إلى هذه الشبهة في تسويغ الشرك وأنه من قال: لا إله إلا الله فإنه لا يكفر وهذا تفريع عن الشبهة السابقة استدلوا بحديث أسامة رضي الله عنه أنه قتل رجلاً قال: لا إله إلا الله وذلك في إحدى الغزوات فإن أسامة رضي الله عنه تبع رجلاً فلما تمكن منه قال الرجل: لا إله إلا الله فقتله أسامة رضي الله عنه فلما رجعوا إلى المدينة أخبر النبي بما فعل أسامة فقال له: **((أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟، فقال: يا رسول الله إنما قالها تعوذاً، فقال النبي : أشققت عن قلبه))** وفي بعض الروايات أنه قال: **((ما تصنع بلا إله إلا الله))** أخذ يكررها حتى قال أسامة رضي الله عنه: وددت أني لم أسلم إلا يومئذ وذلك من شدة ما وجد من إنكار النبي واستدلوا أيضاً بما رواه الشيخان من حديث ابن عمر: **((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله))** فاستدلوا بهذا على تحريم دم من قال: لا إله إلا الله وعصمة ماله وقالوا: إن من قال: لا إله إلا الله فلا يكفر.

ثم قال رحمه الله: **وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل !** وهذا تكذيب لباقي ما جاء في الكتاب والسُنّة من وجوب الإقرار ببقية الشرائع ومن أنه قد يكفر ببعض الأفعال أو بعض الأقوال ولو كان مقراً بلا إله إلا الله.

فقال رحمه الله في الجواب على هذه الشبهة: **فيقال لهؤلاء الجهلة: معلوم أن رسول الله قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله وأن أصحاب رسول الله قاتلوا بني حنيفة وهم يشدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدّعون الإسلام وكذلك الذين حرقهم عليّ بن أبي طالب بالنار،** إذاً هذا أول دليل ساقه الشيخ رحمه الله على أنه قد يقول المرء: لا إله إلا الله ويكفر ويُقَاتل بسبب إنكاره شيئاً من الدين أو جحده شيئاً مما تقتضيه هذه الكلمة من وجوب إفراد الله بالعبادة ومن وجوب اتباع النبي والانقياد لما جاء به. هذا

أول ما ساقه في إبطال هذه الشبهة.

ثم قال رحمه الله: **وهؤلاء الجهلة يقولون** –هذا ثاني ما ذكره في إبطال هذه الشبهة-: **إن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله** فهم متناقضون وهذا هو وصف كل من كتاب الله وسُنّة رسوله فإنه في أمر مريج كما قال الله سبحانه تعالى: **بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ**[1] مضطرب غير ثابت ولذلك اضطربوا في هذا فكفروا من أنكر البعث مع قوله: لا إله إلا الله وأحلوا دمه وماله وهذا ثاني ما يجاب به على شبهتهم وعلى ما استدلوا به من الأحاديث ولو قال: لا إله إلا الله **وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه؟!** ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث ولن يفهموا ما فهموا لأنهم لم يتأملوا ولم يأخذوا بالنصوص ويُعملوها جميعاً إنما أخذوا ببعضها ولم يفسروا قول الله بعضه ببعض وقول النبي بعضه ببعض وإنما ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وقول النبي بعضه ببعض لذلك فانتقوا ما يشاؤون: **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**[2] وقال: **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**[3] وأما قوله: **ولن يفهموا:** لأن قلوبهم أُشربت قلوبهم هذه الشبه وعشعشت في نفوسهم فلا يتمكنون من التخلص منها إلا بتوفيق من الله سبحانه وتعالى وإلا فالدلائل على كذب ما يقولون وبطلان ما يشبهون به واضحة بينة.

ثم قال رحمه الله في الجواب على شبهتهم وهو ثالث جواب وهو جواب على ما استدلوا به: **فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام** يعني سبب قتل أسامة رضي الله عنه لهذا الرجل أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً ولذلك قال: ((إنما قالها تعوذاً)) **إلا خوفاً على**

---

1 () ق: 5.
2 () الصف: 5.
3 () آل عمران: 7.

دمه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام –الآن يبين الشيخ وجه إنكار النبي على أسامة-**وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك** أي ما يخالف ما أقر به ما يخالف إسلامه وإقراره بالتوحيد.

ثم قال: **وأنزل الله تعالى في ذلك يعني في هذا الأمر يعني وجوب الكف عمن ظهر منه ما يدل على إسلامه حتى يتبين أمره وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾**[1] أي: تثبتوا. قال رحمه الله: فالآية تدل على أنه يجب الكف عمن ظهر منه ما يدل على الإسلام من قول: لا إله إلا الله أو التحية بتحية أهل الإسلام.

يقول: **على أنه يجب الكف عنه والتثبت فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾** يقول: **ولو كان لا يقتل إذا أقرّ بلا إله إلا الله إذا قالها لم يكن للتثبت معنىً.** واضح لو كان لا يقتل لما أمرنا بالتبيّن لقال كفوا عنه وانتهينا ما احتاج أن يقول: فتبينوا لكن أمر بالتبيّن حتى يروا هل ما قاله صدق وعن قلب مؤمن بما يقول أم إنه كذب ومين.

وقال رحمه الله: **وكذلك الحديث الآخر وأمثاله** يعني يحمل على هذا المعنى أنه من قال: لا إله إلا الله لم يقاتل بل يجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يناقض ما أقر به.

ثم قال رحمه الله: **معناه ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك والدليل على هذا أن رسول الله الذي قال: ((أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!)) وقال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله)) هو الذي قال في الخوارج وهم الذين خرجوا عن الجماعة وكفروا الصحابة وقاتلوهم: ((أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))** إذاً في هذا الحديث إخبار أن النبي يقتل

---

[1] () النساء: 94.

من قال: لا إله إلا الله إذا زاغ عن مقتضاها وإذا كفر بما يجب الإيمان به من شرائع الدين فإذا أتى مكفراً فإنه لا ينفعه إقراره بلا إله إلا الله فعلى سبيل المثال من سب الله لو قال: لا إله إلا الله ليل نهار وهو يسب الله فهو كافر إذا لم يتب من ذلك أو سب النبي أو سب القرآن أو سب شيئاً من شرائع الدين فإنه يكفر بهذا الفعل فالإقرار بلا إله إلا الله يفيد عصمة الدم والمال إلا إذا تبين ما يناقض هذه الكلمة وما يبطل أثرها في حفظ المال والدم فهذا النبي يقول: **((لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))**[1] وما ذلك إلا أنهم أتوا أمراً كبيراً في الدين وهو تكفير صحابة النبي والخروج عن الجماعة.

مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً يقول: **حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم** كما قال النبي : تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم وقراءتكم إلى قراءتهم لكن خاتمتهم ماذا؟ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

قال رحمه الله: **وتعلموا العلم من الصحابة لم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة** وهذا من أوضح الأدلة وأبينها على أن قول: لا إله إلا الله يعصم ابتداءً فإذا تبين ما يناقض هذا القول ويبطل أثره فإنه يعمل بمقتضى هذه المناقضة من إباحة الدم والمال، أما بالنسبة للخوارج أيها الإخوة فيظهر من كلام الشيخ هنا تكفيرهم وإن كان ليس تصريحاً فإنه قال: **لم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة**، وإن كان يمكن أن يقال: إنها لم تنفعهم في عصمة دمهم ولا يلزم من هذا تكفيرهم إذ إنه قد يباح الدم فيما دون الكفر.

ومسألة تكفير الخوارج للعلماء فيها قولان في مذهب أحمد ومالك والشافعي ففي قول لهم أنهم كفار لتكفيرهم الصحابة ولخروجهم على الجماعة وللأقوال المبتدعة المنكرة التي قالوها. والقول الآخر:

---

[1] () أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري برقم 3166 وأخرجه مسلم برقم 1064.

أنهم لا يكفرون بل هم ممن أباح النبي دماءهم إذا اجتمعوا على بدعتهم وخرجوا على المسلمين وهم من المعتدين الظالمين الذين يقاتلون قتال أهل البغي والظلم والاعتداء.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وهذا الذي كان عليه الصحابة فلم يُنقل عن أحد منهم أنه كفّرهم لا علي ولا غيره بل لما سُئل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن الخوارج هل هم كفار؟ قال: من الكفر فروا. والظاهر أن ما ذهب إليه القائلون بعدم تكفيرهم أقرب للصواب إذ هذا القول هو الذي مضى عليه الصحابة رضي الله عنهم وهم أعلم بكلام النبي ومقاصده.

ثم قال رحمه الله: **وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة وكذلك أراد أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1] وكان الرجل كاذباً عليهم وكل هذا يدل على أن مراد النبي في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.** وهذه أيضاً شواهد لما تقدم ذكره من أن قول: لا إله إلا الله يفيد في عصمة الدم والمال ابتداءً ما لم يبدِ ما يناقض هذه الكلمة فإن الصحابة رضي الله عنهم قتلوا بني حنيفة وأراد أن يغزو بني المصطلق مع أنهم يقولون: لا إله إلا الله وأيضاً قاتل اليهود مع أنهم يقولون: لا إله إلا الله إلا أنهم لم يقروا بالرسالة فلا إله إلا الله لا تنفع صاحبها إلا إذا أقر بكل ما يقتضيه هذا الدين وما جاء به النبي فمن جحد شيئاً من ذلك فإنه لا ينتفع بها.

---

1 () الحجرات: 6.

ثم قال رحمه الله: ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض عليه جبريل في الهواء فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا. قالوا: فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم.
فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه فإنه كما قال الله تعالى: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾[1] فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ولو أمره أن يضع إبراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئاً يقضي به حاجته فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟

هذه شبهة أخرى ولعلها آخر الشبه التي يوردها الشيخ رحمه الله في هذا الكتاب المبارك قال رحمه الله: **ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض عليه جبريل في الهواء فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما لك فلا. قالوا: فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم.**

وهذا كما قال الشيخ رحمه الله فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى فإن الشبهة الأولى فيها سؤال المخلوق ما يقدر عليه وهذا أيضاً فيه عرض المخلوق ما يقدر عليه فإن جبريل عليه السلام عرض لإبراهيم لما ألقي في النار أو قبل أن يلقى في النار لما تآمر قومه على إلقائه في النار قال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم.
نقول: هذه ليست من الاستغاثة الممنوعة هذه من الاستغاثة التي نتفق معكم على جوازها لكننا نختلف معكم في كونها دالة على جواز

---

[1] () النجم: 5.

الاستغاثة العبادية التي لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه وتعالى، أما الاستغاثة التي من هذا الجنس وهي سؤال المخلوق ما يقدر فليس ذلك من الشرك في شيء.

قال رحمه الله فالجواب: **أن هذا من جنس الشبهة الأولى** وأنتم تلاحظون أيها الإخوة هذه الشبهات التي مرت معنا أنها في غالب الأحيان تكون مكررة والخلاف فيها خلاف لفظي فهو من تنويع العبارة لعرض نفس الشبهة المتقدمة ولذلك سلك الشيخ رحمه الله مسلكاً جيداً في هذه الشبهات فقد عرض أولاً كبريات شبهاتهم ثم بعد أن فرغ من عرض هذه الكبريات ذكر ما هو فروع أو ما هو تنوع في اللفظ للشبه المتقدمة وكذلك هنا فإنهم أعادوا ما أجبنا عليه قبل قليل في القصة المتقدمة.
فالجواب على هذا من جنس الشبهة الأولى فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه وتوضيح هذا أنه قال رحمه الله: فإنه كما قال الله تعالى فيه يعني في جبريل: ﴿**شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[1] **فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل** وهذا لا شك فيه **ولو أمره أن يضع إبراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل** وهذا لا شك أنه في قدرة جبريل **ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئاً يقضي به حاجته فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد** وهذا تفسير من الشيخ رحمه الله لما فعله إبراهيم فإن إبراهيم عليه السلام قال: أما إليك فلا: أي فلا حاجة لي بما عندك. ومعنى هذا الكلام: أما إلى الله فنعم فإنه صبر على ما لقي منتظراً فرج الله سبحانه وتعالى وما يختاره له وهذا فيه غاية التسليم وإبراهيم عليه السلام إنما كان أمة قانتاً لله حنيفاً بسبب تسليمه لله سبحانه وتعالى ومن أبرز ما يظهر فيه تسليم إبراهيم عليه السلام قصة رؤياه التي رأى فيها ذبح ابنه الذي حرمه سنين طويلة ثم لما جاءه وبلغ معه السعي رأى هذه الرؤيا فما كان منه إلا أن سلم وآمن

---

1 () النجم: 5.

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[1] فما كان أن فرّج الله سبحانه وتعالى عنه وفداه بذبح عظيم وما ذلك إلا لتسليم إبراهيم واسماعيل عليهما السلام فمن السمات البارزة في حياة إبراهيم عليه السلام تسليمه لله سبحانه وتعالى وهذا من تسليمه إذ إنه رضي بما يختاره الله سبحانه وتعالى له وما يُقدّره له ولم يركن إلى اختياره لنفسه وهذه فائدة ينبغي لطلبة العلم والدعاة وأهل الخير أن يتنبهوا لها وهي أنه قد نختار لأنفسنا أمراً من الأمور نحب وقوعه ونجاهد في تحقيقه ويكون الخير فيما اختاره الله لنا إذ يقع شيء يخالف ما نحب فتجد بعض الإخوة وبعض أهل الخير يضجر ويغضب لهذا الذي وقع أو على أقل الأحوال يشعر في نفسه بمضاضة وغضاضة لما وقع فنقول له: ينبغي لك أن تسلم وأن تعلم أن ما قدره الله سبحانه وتعالى لك هو خير لك ولا شك **((عجباً لأمر المؤمن فإن أمره كله له خير إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ولا يكون ذلك إلا للمؤمن))** فالواجب على العبد المؤمن أن يرضى بما اختاره الله سبحانه وتعالى من تأخر النصر أو من تأخر تحصيل العلم أو من فوات فرص أو ما إلى ذلك ولا يستعجل بل ما اختاره الله سبحانه وتعالى لنا هو الخير ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[2] والله يصنع لدينه ما لا نصنع فينبغي لنا أن نسلّم وهذا بارز من هذه القصة فإنه قال: أما إليك فلا فجاءه الفرج من الله سبحانه وتعالى بأن قال: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[3] تفريج من رب العالمين سبحانه وتعالى فالواجب علينا أيها الإخوة أن ننتبه إلى هذه الفوائد وهذه العبر من قصص الأنبياء في كتاب الله سبحانه وتعالى فإن الله سبحانه وتعالى إنما قص علينا قصصهم للعبرة وليس للتسلي والنظر فيما جرى لهم فقط بل للاعتبار وأشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك مخاطباً نبيه: ﴿ وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[4] فلقصص الرسل فائدة وهي التثبيت والاعتبار. فينبغي لنا أن نتنبه لهذا. . ثم قال رحمه الله: **فأين هذا من استغاثة**

---

1 () الصافات: 103.
2 () القصص: 68.
3 () الأنبياء: 69.
4 () هود: 120.

العبادة والشرك لو كانوا يفقهون.

الدرس الحادي عشر:

إلى الكفر والإلحاد بل سيكون مستقراً مطمئناً بالإيمان وشواهد هذا في حياة الصحابة وحياة من بعدهم من التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين كثيرة جداً.
ويفهم من كلامه **لا يكره على الكلام والفعل** أن الآية تشمل الإكراه في القول والإكراه على الفعل فمن أكره على قول الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان إكراهاً ملجئاً لم يضره ذلك، ومن أكره على فعل الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك أيضاً.

وهذه المسألة فيها خلاف بين أهل العلم منهم من قال: إن الإكراه الذي يعذر به العبد هو في القول فقط. وأما الإكراه في الفعل فإنه لا يجوز أن يفعل فعلاً شركياً ولو أكره على ذلك ولو كان الإكراه مُلجئاً يؤول به إلى فقد حياته. والصواب: هو القول الأول وهو الذي عليه جمهور أهل العلم أن الإكراه الذي يسوغ الوقوع في الكفر يستوي فيه الإكراه على الكلام أو الإكراه على الفعل كالإكراه على قول الكفر أو الإكراه على فعل الكفر.

ثم قال: **وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها**. ثم قال رحمه الله: والثاني: قوله تعالى: **﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾**[9] فلما استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة كان ذلك سبب كفرهم. فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين ومحبة الكفر وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين والله سبحانه وتعالى أعلم وأعز

---

1 () البقرة: 146.
2 () النساء: 145.
3 () أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم ظلم المسلم وخذله من حديث ابي هريرة برفم: 4651.
4 () النساء: 145.
5 () التوبة: 66.
6 () القيامة: 14- 15.
7 () التوبة: 66.
8 () النحل: 106-107.
9 () النحل: 107.

وأكرم هذا والله سبحانه وتعالى أعلم وأعزم وأكرم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله وتوفيقه وبهذا نكون قد انتهينا من كشف الشبهات نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا وأن يجعلنا وإياكم من المباركين. . . .